صفحة من طفولتي

ترتبط بصفحة من حاضري

للأستاذ خليل هنداوي

« كان لي أخت فقدتها صغيرة أيام نكبة الحرب العظمى بالسكوليرا . وما زال اسمها يطوى أيامي حتى استقر على صغيرة لي حلت مكان الأولى ؛ فكانت الأخت والبنت ؛ وكان لها اسمها ومقامها »

يالشد ابتهاجي حين أراها تخطر أمامي ووجهها يتدفق نوراً بالصفاء ، وشعرها الأشقر يتموج كالشعلة !

تملأ وحدها مكاناً وتملأ أخواها مكاناً ،

وتفعم وحدتي أنساً وقلبي محبة ؛

فلا ألمحها إلا ضاحكة ، ولا أسمعها إلا مهللة ! . . .

كأنها ضحكة انطلقت بها الحياة ،

أو بسمة انجلت عن معنى الرضا .

أناديها باسمها ، فيهزني اسمها لأنه وليد ذكرى أليمة ترتبط بها ذكريات . أراها فأرى فيها صاحبة هذا الاسم أيام كانت تحيا بجانبي وتصل طفولتي بطفولتها ، أيام كانت تتعانق أحلامنا وتتلاقى آمالنا . . .

أرى فيها صاحبة هذا الاسم طفلة كما كانت باللامح التي كانت . ولكن العين التي أرى بها قد اختلفت وزالت عنها معاني الطفولة ! ولكني أراها وألمسها وأعانقها فأرى أن سلسلة هذا الزمان الطويل لم تكن خلال ذلك منقطعة ، لأنها استطاعت أن تثبت لي اتصال الموت بالحياة ، واستطاعت أن تعيد لي الميت باسمه وروحه !

أراها تخطر أمامي واثبة أو متهادية ، ويراها من مي بعينه كما أراها ، ولكن عين الذكرى تمتد إلى أبعد من هذا الحد ، فتراها متصلة بذكريات بعيدة الأمد ، تحملها كما تحمل عيناها نور غدها . تراها تحمل إلى شيئاً من طفولتي المطوية ، أناديها باسمها فأرى « يسرى » الأولى التي كانت تخاف كثيراً من الدخان كأنما صفاء روحها لا يحتمل أن يرى السواد يغشى السماء الزرقاء والتي كانت لا تجد وسيلة إلى إهداء سلامها إلى أبينا الجندي إلا القمر !

كانت في الخامس من ربيعها يوم زحف الهواء الأصفر بجنوده وويلاته ، يغشى المدينة فيأخذ منها جنوداً ، ويدخل البيت فلا يرضى إلا بكبشين أو ثلاثة ! أو بكل ما تنفس بحياة . كنا نسمع بصفته فنخشى ريحه ، ونرتاع من صوته ونحذر أن نلقاه في مكان ؛ ولكنه كان يمشي ولا يرى ، ويدخل ولا يحسه أحد . فأنشب مخالبه في أخي الصغير . فكانت « يسرى » تخشى الدنو منه ، ولكنها كانت تسمع من الجارات يقلن لأمه : « إنه سليم لأن يديه لم يزرقا .. خاق من زرقة اليدين فهي علامة الموت » وما مر على الصغير ساعات معدودة حتى سقطت « يسرى » التي كانت تحذر وتبالغ في الحذر على صغرها ، لأنها تفهم الموت شيئاً مروعا . وكانت أمنا تجاهد فينا لا تخشى أن ينشب المرض مخالبه فيها ، وما غلبته إلا بقوة اعتقادها وإيمانها . فخنت على سرير « يسرى » وقد رأت أخاها نجا بمعجزة ... ولكن يسرى تتأمل في يديها فترى أن الزرقة أحاطت بهما فتقول لأمها : « ها إنني أموت ، لأن يدي مزرقتان .. » فتوارى الأم وجهها لتذرف دمعها بعيدة عن عينيها ! « إنني لن أشفى يا أماه لأنني لا أرى في جسدي إلا الزرقة . » هاتي لي ثياب العيد — وكان العيد بعد أسبوع — من خزانتي ، أريد أن ألبسها كلها . هاتي ردائي الأحمر الذي أرسله إلى والدي من القدس . » لبست ثيابها واغتبطت برغم الألم ، ثم أخذها ذهول عميق عقبه سكرة الموت ، ولبثت حتى حان وقت وقوعها في الداء ، فأسلمت روحها ولما يتنفس الفجر ! فبكت أمنا بهدوء يشقه بعض شهقات ، تحاول ألا نسمع وكنا نياماً ، وهي تخشى على أخي النكسة ، حتى طلع النهار — وأوصت حفار القبور

تتراءى لي هذه الصفحة الأليمة فأراها واضحة السطور على رغم القدم ، وأذكر أنني نهضت فوجدتها كتلة زرقاء هامدة لا تنبض بالحياة ، فروعني ذلك ولكني لا أذكر كيف بكيت ؟ فشيعنا إلى المقبرة وهي على يدي الحفار لا يمشي خلفها إلا ثلاثة : أمها وجدتها وأنا ، أعدو خلفهما حافي القدمين ، ولكني أرى من وراء ظهر الحفار رأسها الملتف وقدميها الملتفتين . وكيف يمشي

أحد معنا والناس لا هون بموتاهم . فوجدنا على باب المقبرة ولداً لا أهل له يوارونه التراب وكان اللحد ضيقاً ، فطووا قدميه بالعنف حتى يتسع اللحد له ! فشينا حتى أدركنا لحدها وكان واسعاً ، فقالت أمها :

إنه كثير السعة وهي صغيرة .

وسدوها اللحد وهالوا على وجهها التراب . وكنت أظن أن وجهها توارى الى الأبد . فمدنا وأخذ النسوة يعزين والدتي قائلات :

— اشكري الله على نجاة الصبي بهذه الفدية

ولعل هذه التعزية كانت مما تخفف عن الأم لوعتها ولكن مكان الولد لا يسد

« لكلٍّ مكانٌ لا يسد اختلاله »

بلى ظننت أن وجه يسرى قد توارى الى الابد

ولكن هاهي ذي الحياة تتمخض مرة جديدة عن «يسراى»

تعيدها إلى ابنة لا أختاً ؛ تعيدها قطعة من كبدي

لا أحفظ للاولى صورة ، ولا أذكر من ملامحها شيئاً ، ولكن جدتك — يايسراى — تقول لي : إنها عادت بملامحها ونضرة وجهها وكأنها هي . وإنها لا ترى فيك إلا ابنتها . . .

فأهلاً بك أختاً وبنتا !

وأهلاً بك ياشعلة حياتي !

خليل هنداوي

الرسالة

تدخل عامها الخامس فى اول يناير ومعها :

الرواية

وهى مجلة للقصص العالى والسمر الرفيع ؛ تصدرها ادارة الرسالة فى ثمانين صفحة

تعتمد فى الغالب على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربى فى القصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والسير . وسيكون دستورها : الجمال فى الأسلوب ، والحسن فى الاختيار ، والنبل فى الغرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب

اشتراك الرواية المؤقت

تصدر الرواية مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه . لذلك سيكون بدل اشتراكها ثلاثين قرشاً فى مصر والسودان ، وخمسين قرشاً فى الخارج بدون تخفيض

اشتراك الرسالة المخفض

كل من يسدد اشتراك الرسالة الكامل وقدره ستون قرشاً فى مصر ومائة قرش فى الخارج قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه الرواية مجانا ، وللمعلمين الالزاميين وطلاب العلم أن يدفعوا أقساطاً متتابعة : أربعين قرشاً للرسالة وحدها ، أو ستين قرشاً للرسالة والرواية وكتاب من مطبوعات (لجنة التأليف والترجمة والنشر) لا يقل ثمنه عن عشرة قروش ولا يزيد على خمسة عشر ، (وأجرة البريد على المشترك) ، وستنشر الرسالة قائمة بالكتب المختارة

(تنبيه) رسم البريد للخارج مضاعف على الرواية لكبر حجمها ، لذلك سيكون اشتراك الاشياء فى شهر يناير للبلاد العربية تسعين قرشاً بدل ثمانين